

مُلخَص

يكتسي البحث في موضوع رحلة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إلى الشرق العربي والإسلامي، خلال الفترة الممتدة ما بين (١٩٥٢ - ١٩٦٢)، أهمية تاريخية بالغة، لأنه سيجيب على بعض التساؤلات الجوهرية، كالظروف والأسباب التي دفعت بهذا الرجل الفذ إلى قيامه بهذه الرحلة، وسر تمديدها طوال هذه المدة. ويسلط الضوء على الأوضاع السائدة في الأقطار التي زارها، كمصر، وباكستان، وتركيا، وإيران، والعراق، والحجاز، وسوريا، والأردن والأراضي الفلسطينية المحتلة. ويكشف لنا عن علاقاته مع العلماء، والأساتذة، والطلبة، والدبلوماسيين، والوزراء، والصحافيين، بما في ذلك علاقته بقيادة الثورة الجزائرية المقيمين في القاهرة.

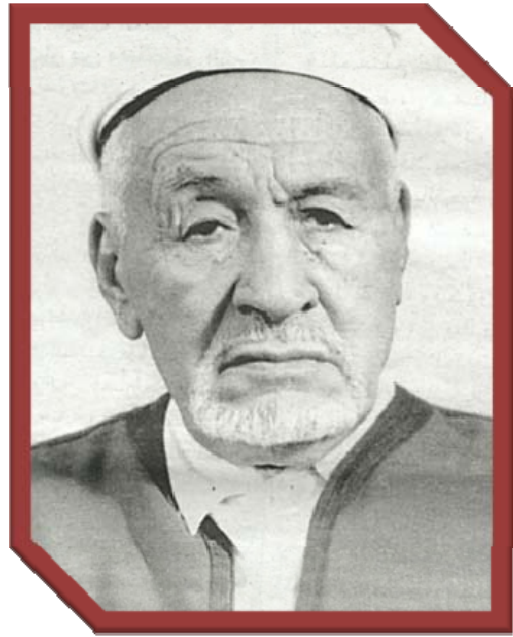
مُقَدِّمَةٌ

إن الرحلة التي قادت الشيخ "محمد البشير الإبراهيمي" رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى بعض الأقطار العربية والإسلامية خلال سنوات الخمسينات من القرن العشرين، بحاجة إلى إمطة اللثام عن جوانبها الغامضة أو المنسية، من ذلك دواعي الشيخ مغادرة الجزائر وطول غيابه، رغم أن الجمعية كانت بأمس الحاجة إليه للظروف الصعبة التي كانت تمر بها البلاد، صداقة الشيخ "الإبراهيمي" الحميمة بالشيخ "الفضيل الورتلاني"، ثم علاقتهما بجماعة الإخوان المسلمين في مصر، موقف الشيخ "الإبراهيمي" من الثورة الجزائرية بشكل عام، ومن قادتها الوافدين إلى القاهرة بشكل خاص.

في محاولتنا تبديد الغموض الذي حام حول هذه الرحلة، قمنا بتقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة عناصر، نتناول في العنصر الأول نبذة عن حياة ونشاط الشيخ "الإبراهيمي" قبل رحلته الثانية إلى الشرق العربي والإسلامي، لأن الرحلة الأولى كما سنرى لاحقاً قادتته إلى الحجاز سنة ١٩١١ ثم إلى الشام، ونتطرق في العنصر الثاني إلى رحلة "الإبراهيمي" إلى الشرق خلال الفترة الممتدة بين (١٩٥٢) و(١٩٦٢)، حيث سنركز على نشاطاته الدينية والثقافية والسياسية في القاهرة وبعض العواصم الإسلامية، ودائماً في موضوع هذه الرحلة، سنخصص العنصر الثالث للحديث عن موقف "الإبراهيمي" من الثورة الجزائرية ومن قادتها المتواجدين في القاهرة، ثم نختم كل ذلك باستنتاجات وملاحظات.

(١) نبذة عن حياة ونشاط الشيخ الإبراهيمي

هو محمد البشير بن محمد السعدي بن عمر بن محمد السعدي بن عبد الله عمر الإبراهيمي، نسبة إلى قبيلة عربية ذات أفضاخ وبطون عرفت بـ "أولاد إبراهيم"، وهي إحدى قبائل سبع متجاورة في سفوح الأطلس الكبير الشمالية المتصلة بقمم جبال "الأوراس" من الجهة الغربية، وكل ذلك واقع في ولاية قسنطينة من القطر الجزائري، وتجتمع القبيلة التي ينحدر منها "الإبراهيمي" مع



رحلة الشيخ محمد الإبراهيمي إلى الشرق العربي والإسلامي (١٩٥٢ - ١٩٦٢)

د. خالد بوهند

أستاذ محاضر التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة سيدي بلعباس - الجمهورية الجزائرية



الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

خالد بوهند، رحلة الشيخ محمد الإبراهيمي إلى الشرق العربي والإسلامي (١٩٥٢ - ١٩٦٢).- دورية كان التاريخية- العدد الرابع والعشرون؛ يونيو ٢٠١٤. ص ٩٧ - ١٠٢.

www.kanhistorique.org

كان التاريخية: رقمية الموطن .. عربية الهوية .. عالمية الأداة

هذه القبائل السبع في "يعي بن مساهل" ذي النسب الشريف المتواتر بالرواية الشفوية.

ولد الشيخ يوم الخميس الرابع عشر من شوال سنة ١٣٠٦ هـ، الموافق للثالث عشر جوان ١٨٨٩م، تلقى تعليمه على يد عمه الشيخ "محمد المكي الإبراهيمي" المعروف بمنطقة "ريفة"، فأجازه الإجازة المعروفة عامة، ثم خلفه في التدريس. رحل "الإبراهيمي" إلى الحجاز سنة ١٩١١، وعمره إذ ذاك إحدى وعشرون سنة، ملتحقاً بوالده الذي اتخذ المدينة المنورة مستقراً له، فمر على القاهرة وأقام بها ثلاثة أشهر، زار فيها جامع الأزهر، والتقى ببعض وجوه الثقافة المصرية والإسلامية كالشاعرين "أحمد شوقي" و"حافظ إبراهيم"، والشيخ "رشيد رضا"، وجماعة من علماء الأزهر.

وعند وصول "الإبراهيمي" إلى المدينة المنورة، عكف هناك على القراءة والإلقاء، إذ كان يلقي دروس متطوعاً، ويتلقى في نفس الوقت دروس في التفسير والحديث، ويتردد على المكتبات، مدة أزيد من خمس سنوات. وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى، وثورة "الشريف حسين بن علي"، اضطر "الإبراهيمي" ووالده إلى الانتقال إلى الشام في النصف الأخير من سنة ١٩١٦، فاستقروا في دمشق، وهناك درّس "الإبراهيمي" في العديد من مؤسساتها التعليمية، وعندما اضطرت أحوال سوريا في النصف الأخير من سنة ١٩١٩، عاد "الإبراهيمي" إلى الجزائر في أوائل سنة ١٩٢٠، فتصدى للتدريس، وعندما حلت سنة ١٩٣١، ساهم "الإبراهيمي" رفقة الشيخ الإمام "عبد الحميد بن باديس"، وجماعة آخرين من علماء الجزائر في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. حيث انتخبه زملاؤه رئيساً لها خلفاً للشيخ "ابن باديس" الذي وافته المنية في ١٦ أبريل ١٩٤٠.

كان "الإبراهيمي" خلال الفترة (١٩٤٠ - ١٩٤٣) منفيًا في قرية "أفلو" بالجانب الجزائري، وعندما أفرج عنه، أسس خلال فترة وجيزة نحو سبعين مدرسة عربية حرة متفرقة في جهات القطر من خلال تبرعات الشعب الجزائري، وقد وصل عدد المدارس الابتدائية الحرة نحو مائة وخمسين مدرسة، يتردد عليها نحو خمسين ألف تلميذ، لتلقي العلم على يد أربعمائة معلم، يُتوجها معهد "ابن باديس" للتعليم الثانوي في قسنطينة الذي جمع نحو ألف تلميذ،^(١) ليرتفع عدد المدارس الابتدائية إلى أربعمائة وزيادة، وبلغ عدد تلامذتها إلى اليوم الذي سافر فيه الإبراهيمي إلى الشرق سنة ١٩٥٢ مئات الآلاف بين بنين وبنات، وبلغ عدد معلمها ألفاً وبضع مئات.^(٢)

(٢) رحلة الشيخ الإبراهيمي إلى الشرق

بتاريخ ٧ مارس ١٩٥٢، رحل الشيخ "الإبراهيمي" عن الجزائر، متجهاً إلى الشرق، حيث أقام في القاهرة أسبوعاً، ثم سافر إلى باكستان، فأقام بها حوالي ثلاث أشهر، زار خلالها كراتشي وكشمير وغيرها، وألقى فيها محاضرات في الدين والاجتماع والتاريخ، لينتقل بعدها إلى العراق، فزار مدنها من البصرة إلى حدود تركيا وإيران، وألقى فيها محاضرات اجتماعية ودروس دينية، ثم رحل عنها بعد

نحو ثلاثة أشهر إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج في السنة نفسها، وألقى بها الكثير من المحاضرات والأحاديث، ثم أقفل راجعاً مرة ثانية إلى القاهرة يوم ٢٤ أكتوبر من نفس السنة، ومنها تردد على العراق والحجاز وسوريا والأردن والقدس، لإلقاء جملة من المحاضرات.^(٣) ولكن السؤال المطروح لماذا قام الشيخ الإبراهيمي بهذه الرحلة بالذات؟ ثم ما هي نتائجها وانعكاساتها؟

السؤال الأول قد أجاب عنه الشيخ في سيرته الذاتية المختصرة والواردة في كتاب: "في قلب المعركة"، حيث ذكر بأنه لم يقم بهذه الرحلة بمحض إرادته، وإنما بتكليف من الجمعية، وهذا لتحقيق غرضين: السعي لدى الحكومات العربية لتقبل بعثات من الطلبة الجزائريين، ومخاطبة حكومات العرب والمسلمين في إعانة الجمعية مالياً حتى تستطيع مواصلة أعمالها بقوة.^(٤)

في حقيقة الأمر: كان من دواعي رحلته إلى الشرق واستقراره في القاهرة، أنه لما سافر "الإبراهيمي" إلى باريس بمناسبة انعقاد الجمعية العمومية للأمم المتحدة فيها حوالي سنة ١٩٥٠، اجتمع بكثير من أعضاء وفود الدول العربية والإسلامية فشجعوه على زيارة مصر وإقامة فيها للتبشير بالنهضة الجزائرية في ربوعها، وقد مهدت لهذا كله الجالية الجزائرية في باريس، إذ أقامت مأدبة تكريم لممثلي البلدان العربية في اجتماع الجمعية العمومية هناك، وخطب فيها "الإبراهيمي" باسم الجزائر خطبة كان لها صداها وأثرها في الحاضرين من أعضاء تلك الوفود، وعرف أثناءها في الجزائر ونهضتها وما يربطها بالشرق من وشائج القربى وروابط الأخوة، كانت هذه الحفلة التكرمية، وخطاب "الإبراهيمي"، بداية اتصال جديد بين الجزائر والشرق.^(٥)

والجدير بالذكر: أن الشيخ "الفضيل الورتلاني"، قد سبق "الإبراهيمي" إلى القاهرة، منذ أواخر سنة ١٩٤٠، قادماً إليها من فرنسا، وفي سنة ١٩٤٩، أسس في القاهرة مكتباً حمل اسم "مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"،^(٦) بإيعاز من الجمعية ورئيسها الشيخ "الإبراهيمي"، لأن هذا الأخير ذكر بأنه هو من كون هذا المكتب عند وصوله إلى القاهرة.^(٧) وربما بل من المؤكد أن ذلك كان عاملاً مساعداً في رحلة "الإبراهيمي" إلى الشرق.

مهما يكن من أمر؛ فإن "الإبراهيمي" استأنف نشاطه المعهود به، في البلدان العربية والإسلامية، حيث أوردت جريدة "الشباب المسلم"،^(٨) أنه لبي دعوة جماعة الإخوان المسلمين المصريين، حيث ألقى خطبته الدينية في مقرها الاجتماعي، ليזור بعد ذلك مقر سكني الطلبة الجزائريين في القاهرة، ثم القصر الملكي، أين التقى بوزير الخارجية وسفراء كل من المملكة العربية السعودية وباكستان، وشيوخ الأزهر، واستضيف من قبل جامعة الدول العربية، التي حجزت له غرفة في فندق الجزيرة، وهناك كان "الإبراهيمي" يستقبل زواره من علماء وأساتذة وطلبة ودبلوماسيين ووزراء وصحافيين، على غرار "صلاح الدين باشا" وزير خارجية سابق، والشيخ "حسنين مخلوف" مفتي الديار المصرية، و"الهضيبي باي" المرشد العام

لم تكن تحركات الشيخ "الإبراهيمي" في الشرق، أمراً مخفياً عن السلطات الاستعمارية في الجزائر، إذ تطلعتنا رسالة وجهها الحاكم العام في الجزائر إلى والي وهران، بأنه خلال نهاية شهر ديسمبر من العام ١٩٥٣، تقدمت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، إلى وزير خارجية العراق، بطلب قبول دفعة من طلبة شمال إفريقيا في المدارس العراقية، وتضيف الرسالة أن مجلس الوزراء صادق على (١٤٠) منحة لطلبة شمال إفريقيا.^(١٣)

وفي تقرير لشرطة الاستعلامات العامة، ورد أن الشيخ "الإبراهيمي"، يقوم بجولات عبر البلدان الإسلامية، من أجل مصلحة طلبة شمال إفريقيا، حيث تمكن من الحصول من كل حكومة عربية، على عشرة منح سنوية مقدمة إلى الطلبة، وتعدّ العراق والكويت الأكثر استقطاباً للطلبة، بسبب كرم الضيافة واستقبال الأوضاع فيها، أما جامعات مصر وسوريا تغلق من حين لآخر بسبب مظاهرات الطلبة. لقد استفاد الطلبة الجزائريون من هذه المساعدات المقدمة من قبل الدول العربية، وخاصةً الطلبة المقصيين من جامع الزيتونة في تونس، فهذا "تورقان قدور" عضو لجنة المدرسة الإصلاحية في مدينة "سيق"، أرسل ابنه "العربي" لاستكمال دراسته بأحد الجامعات العراقية، بعد أن كان طالباً في الزيتونة.^(١٤)

وفي تقرير آخر لشرطة الاستعلامات العامة، ورد أن "عكاش مرتضى" من معسكر و"الأزرق أحمد" من سيدي بلعباس، قد غادرا الجزائر، في اتجاه سوريا لغرض استكمال تعليمهما،^(١٥) كما غادر "ولد عوالي بن عبد الله" معسكر في اتجاه العراق لنفس الغرض.^(١٦) وفي رسالة وجهها رئيس دائرة تلمسان إلى والي وهران، ورد أن "شطيط عمر" تقدم إلى المصالح المختصة في دائرته بطلب الحصول على جواز سفر، قصد استكمال دراسته في المشرق العربي، لم يحدد الطالب وجهته، لكن الشيء المؤكد هو أن هذا السفر سيكون على عاتق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.^(١٧)

وفي تقرير آخر لشرطة الاستعلامات العامة، ورد أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تحضر لإرسال مائة وخمسين طالباً جزائرياً في اتجاه مصر وسوريا وكينيا وباكستان، قصد استكمال دراستهم، وفي مدينة ندرومة يستعد خمسة طلبة للسفر إلى الخارج وهم: "بوري محمد"، و"هدام ولد الحاج محمد"، و"فلاح عامر بن محمد"، و"هي" و"شواف".^(١٨)

من جانب آخر، وفي رسالة وجهها الحاكم العام في الجزائر إلى والي وهران، ورد أن المكتب الدائم للمؤتمر الإسلامي للقدس قد شكل ثلاثة وفود للقيام بمهمة جمع التبرعات من كل الدول الإسلامية، ويضم الوفد الأول الشيخ "أمجد زهاوي أزهري"، والشيخ "محمد محمود صواف"، و"علي طنطاوي"، حيث يتوجه إلى إندونيسيا والهند وسيام وبرمانيا وماليزيا وباكستان. ويضم الوفد الثاني الشيخين "البشير الإبراهيمي"، و"الفضيل الورتلاني"، لزيارة

للإخوان المسلمين، و"عزام باشا" الأمين العام لجامعة الدول العربية، ومساعدته "شكيري باي"، و"منصور فهيم باشا" رئيس أكاديمية مصر، والشيخ "عبد اللطيف دراز" مدير جامع الأزهر، و"يوسف وهي باي" الفنان المصري المشهور، إضافة إلى ممثلين عن تنظيمات شمال إفريقيا، وسفراء بعض الدول الإسلامية في القاهرة، وصحافيين.^(٩)

وحضر الشيخ "الإبراهيمي" مؤتمر الشعوب الإسلامية الذي انعقد في مدينة "خراشي" الباكستانية، أيام (١٠) و(١١) و(١٢) مايو ١٩٥٢، والذي دُعي إليه "خالق عزام"، كما حضرته وفود كل من إندونيسيا وباكستان وإيران وتركيا ولبنان وفلسطين ومصر، وقد مثل الشيخ بجمعية "الفضيل الورتلاني" ملايين من مسلمي شمال إفريقيا، وترأس إحدى جلسات المؤتمر، التي كان التركيز فيها على قضية التدخل الانجليزي في مصر، وعلى الإشادة بدور الدكتور "مصدق" في تخليص الاقتصاد الإيراني من التبعية الأجنبية، وعلى المسألة التونسية، والفلسطينية، وعلى دعوة السلطات السورية إلى إطلاق سراح المعتقلين السياسيين، والسماح بعودة نشاط جماعة الإخوان المسلمين وبقية التنظيمات في سوريا، وعلى قضية الاستفتاء في إقليم كشمير الذي يغلب على شعبه العنصر المسلم (حوالي ٨٠ ٪)، وعلى قضية الأقلية المسلمة في الاتحاد السوفييتي، إذ صدر في هذا المؤتمر بيان شجب سياسة الحكومة الرامية إلى حرمانهم من حرياتهم الشخصية وممارسة شعائهم الدينية، ودعى البيان إلى تقرير مصيرهم بأنفسهم.^(١٠)

كما كان المؤتمر مناسبة، التقى فيها الشيخ "الإبراهيمي" مع "الحاج أمين الحسيني" مفتي القدس، و"عبد الوهاب عزام باي" سفير مصر، و"عمر باشا الأميري" سفير سوريا، و"عبد الحميد الخطيب" سفير المملكة العربية السعودية، وممثلين عن مؤتمر العالم الإسلامي، على رأسهم "انامله خان"، وكذا ممثلين عن علماء باكستان، وممثل واحد عن وزارة الخارجية الباكستانية، كما التقى الشيخ في هذه المناسبة بـ "غلام محمد" الحاكم العام لباكستان، و"الحاج خواجة نازم الدين" الوزير الأول، و"بالسيد" زفر الله خان" وزير الشؤون الخارجية، و"فزل الرحمن" وزير التربية الوطنية، ووزير الإعلام الذي دعاه إلى تسجيل أحاديثه الدينية في الإذاعة. ولم يفوت "الإبراهيمي" فرصة تواجده بخراشي الباكستانية، دون إلقائه لخطب ودروس في العديد من مساجدها، أمام حشود كبيرة من المصلين الباكستانيين، حول موضوع الطرق الصوفية ومخاطرها على وحدة الأمة الإسلامية.^(١١)

ذكر الشيخ "الإبراهيمي" أن وساطته لدى الحكومات العربية من أجل قبول بعثات من الطلبة الجزائريين، قد كُلت بالنجاح، حيث بلغ عددهم في العراق خمسة عشر طالباً، وقد سُجل نفس العدد في الكويت، وبلغ عددهم في سوريا ثلاثون طالباً، وفي مصر خمسون طالباً.^(١٢)

واستناداً إلى بيانات ثلاث صدرت عن مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في القاهرة، موقعة من قبل الشيوخين "الإبراهيمي" و"الورتلاني"، البيان الأول صدر بتاريخ ٢ نوفمبر ١٩٥٤ ورد فيه التالي: «... أما نحن المغتربين عن الجزائر فوالله لكأنما حملت إلينا الرياح الغربية -حين سمعنا الخبر- روائح الدم الزكية، فشارك الشم الذي نشق -السمع الذي سمع والبصر الذي قرأ، فبتألق من ذلك إحساس مشبوب يصيرنا ونحن في القاهرة- وكأننا في مواقع النار والنار من خشلة وباتنة».^(٢٥)

والبيان الثاني صدر بتاريخ ١١ نوفمبر، وقد اقتطفنا منه ما يلي: «... ومضى على الثورة عشرة أيام ونحن نحترق شوقاً إلى الاطلاع على حقيقة ما يجري هناك، وكيف ابتدأت الثورة؟ وما هي العناصر التي قامت بها؟ وبأية صبغة تصطبغ؟ وإلى أي اتجاه تتجه؟ وهل انتشرت؟ حتى نبي على مقدمتها الصحيحة نتائج صحيحة...».^(٢٦) أما البيان الثالث، فقد صدر في ١٥ نوفمبر، ورد فيه التالي: «...فسيروا على بركة الله، ويعونه وتوفيقه إلى ميدان الكفاح المسلح، فهو السبيل الواحد إلى إحدى الحسينين، إما موت وراءه الجنة، وإما حياة وراءها العزة والكرامة».^(٢٧)

وعن علاقة "الإبراهيمي" بقيادة الثورة في القاهرة، ورد في تقييد أن مكتب المغرب العربي في القاهرة، صرح في تاريخ ٩ نوفمبر، بأن وفداً عن جبهة التحرير الوطني قد وصل إلى القاهرة، للتعريف بالقضية الجزائرية، لم يفوت فرصة تواجده في القاهرة، دون الالتقاء بالشيوخين "الإبراهيمي" و"الورتلاني" في مكتب الجمعية في القاهرة، وذلك في ١٠ نوفمبر.^(٢٨)

وفي رسالة من والي قسنطينة إلى رئيس الدائرة، أن اتفاقاً قد حصل في القاهرة بين القادة الوطنيين وهم: "محمد خيضر" (عن اللجنة الثورية للوحدة والعمل)، و"حسين لحول" (عن المركزيين)، و"أحمد مزغنة" (عن المصاليين)، هؤلاء زاروا الشيوخين "الإبراهيمي" و"الورتلاني".^(٢٩) وفي ١٥ نوفمبر عقد "خيضر" مؤتمراً صحافياً حضره كل من "مزغنة"، و"لحول"، و"شادلي"، و"آيت أحمد"، والشيوخين "الإبراهيمي"، و"الورتلاني"، وقد ساهم هذين الأخيرين في عقد الصلح بين "مزغنة" و"لحول".^(٣٠)

ولقد اتفق الممثلون الجزائريون لتنظيمات وأحزاب في القاهرة، على تحرير بيان في ٣ مارس ١٩٥٥ وقعه كل من الشيخ "الإبراهيمي"، وأحمد مزغنة"، وأحمد بيوض"، و"محمد خيضر"، و"شادلي مكي"، والشيخ "الورتلاني"، و"حسين لحول"، وأحمد بن بلة"، وحسين آيت أحمد"، و"محمد يزيد"، الهدف منه: "خدمة الجزائر والسعي من أجل تحريرها واستقلالها، بالاعتماد على العمل المسلح في الجزائر، وتحقيق كل السبل لانتصار الثورة التي هبت على الجزائر".^(٣١)

لكن التغيير المفاجئ لموقف الشيخ "الإبراهيمي" من الثورة الجزائرية وثوارها في القاهرة، كما تبينه المعطيات التي هي بحوزتنا، جعله يقدم على تشكيل "جمعية في القاهرة"،^(٣٢) ترأسها بنفسه،

السودان وشمال إفريقيا ومصر. أما الوفد الثالث الذي يتم الإعلان عن الأسماء المشككة له، تكون وجهته إلى القارتين الأمريكيتين.^(٣٣) لم يرد في الملف الأرشيبي الذي نستقي منه هذه المعلومات، ما يؤكد قيام وفد "الإبراهيمي"، و"الورتلاني" بمهمة جمع التبرعات لفائدة مكتب المؤتمر الإسلامي في القدس، على الأقل في شمال إفريقيا، والجزائر بشكل خاص، اللهم إذا استثنينا من ذلك المعلومة التي وردت في تقرير شرطة الاستعلامات العامة لم يتم التأكد من صحتها، وهي أن الشيخ "الإبراهيمي" قد اشترى أسهم من مصانع مصرية هامة في القاهرة، وهو لا ينوي العودة إلى الجزائر.^(٣٤) وفي حقيقة الأمر أن "الإبراهيمي" لم يعد إلى الجزائر إلا بعد الاستقلال سنة ١٩٦٢، ولذلك بقيت هذه المبادرات العربية حبراً على ورق.

(٣) موقف الشيخ الإبراهيمي من الثورة التحريرية

من الأحداث التاريخية المطروحة للنقاش، موقف الشيخ "الإبراهيمي" من الثورة التحريرية في بدايتها، وهذا راجع -حسب رأينا- لتضارب المعلومات الواردة في المصادر وغموضها أحياناً أخرى. ففي رواية للمناضل الشيوعي "عمار أوزقان"، أن الشيخ "الإبراهيمي" ذكر له السر الذي كانت تخفيه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهو التحرير الوطني للأمة، الذي يمر -حسبه- عبر ثلاث مراحل مدسوسة في الشعارات الثلاثة التالية:

- الإسلام ديني: هذا الشعار الأول يرمز إلى نشر المذهب الإصلاحي (السلفي) الذي تبناه العلماء الاصطلاحيون، لتهيئة العقول العربية لغتي: هذا الشعار الثاني يرمز إلى الدفاع عن اللغة العربية، من خلال نشر التعليم الحر، من أجل القضاء على الجهل والأمية.

- الجزائر بلادي: هذا الشعار الثالث يرمز إلى المقاومة من أجل التحرر، وقد تزامن اختيار موعد تطبيق هذا الشعار في الميدان مع فشل "الجبهة الجزائرية من أجل الدفاع واحترام الحرية"^(٣٥) في تحقيق أهدافها.

يؤكد هذا الرأي ملف احتوى على عشرات الصفحات، مكتوب على الآلة الرافقة، يشرح حركة العلماء الإصلاحيين من أجل الاستقلال، وقد أيدته الشيخ "العربي التبسي"، لكنه ضاع بعد إلقاء القبض على "التبسي".^(٣٦) إذا سلمنا بهذه الرواية، أمكننا القول أن الشيخ "الإبراهيمي"، كان من المؤيدين للمشروع الثوري، ولكن عبر مراحل، إن ذلك يتطابق مع الإسلام، فمن غير المعقول أن عالم مُصلح (سلفي)، الذي هو "محمد البشير الإبراهيمي" رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لا يعمل بالآية الكريمة التي تقول: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ".^(٣٧)

لم يكن الشيخ "الإبراهيمي" وراء تفجير ثورة أول نوفمبر ١٩٥٤، ولا أحد قادتها البارزين، كما لم يُنصبه الثوار أباً روحياً عنهم، ومع ذلك يذكر في مذكراته «... وأنا أرجو للثورة الجزائرية التي شاركت في التمهد لها وتهيئة أسبابها ختاماً جميلاً تنال به الجزائر حريتها واستقلالها».^(٣٨)

ذلك جلب للشيخ "الإبراهيمي" متاعب جمّة. واضطر الشيخ "الورتلاني" إلى مغادرة مصر في اتجاه سوريا لتفادي السجن، على غرار ما حصل لـ "أحمد مزغنة"، و"شادلي مكي".

من جانب آخر حاول "الإبراهيمي" نقل ٢٥ مليون (؟؟) إلى الجزائر بواسطة نجله "لعله أحمد"، لكن هذا الأخير تم توقيفه من قبل مصالح الجمارك في المطار، ثم أُطلق سراحه بعد اعتذار الشيخ "الإبراهيمي" على هذا الحادث، متحججاً بأن هذه الأموال كانت موجهة إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الجزائر. ثم وُضع "الإبراهيمي" تحت الإقامة الجبرية، ومُنع من التنقل، ليفرج عنه بواسطة المملكة العربية السعودية، واختار الرياض مكرها، لأنه ترك إدارة مكتبه في القاهرة لـ "عمور دردور".^(٣٧)

خاتمة

رغم أننا وجدنا بعض الإجابات عن الأسئلة التي طرحناها في بداية هذه الدراسة، إلا أن موضوع "الرحلة الإبراهيمية" ما بين (١٩٥٢-١٩٦٢) لم يُستنفذ بعد، لاسيما ما تعلق منها بموقف الشيخ "الإبراهيمي" من الثورة والثوار الجزائريين في القاهرة. واستناداً إلى بيان الشيخ "الإبراهيمي" الصادر بتاريخ ١١ نوفمبر ١٩٥٤، والمذكور سلفاً: «... ومضى على الثورة عشرة أيام ونحن نحترق شوقاً إلى الاطلاع على حقيقة ما يجري هناك، وكيف ابتدأت الثورة؟ وما هي العناصر التي قامت بها؟ وبأية صبغة تصطبغ؟ وإلى أي اتجاه تتجه؟ وهل انتشرت؟ حتى نبي على مقدمتها الصحيحة نتائج صحيحة...»، نقول أن هذا البيان حرره رجل دين قبل كل شيء، تربّث ولم يستيق الأحكام، ثم اختار منحاه حسب ما أملاه عليه اجتهاده. فهل كان على حق؟.

إن الأيام المتتالية، تكون قد سمحت للشيخ "الإبراهيمي" من تكوين نظرتة الخاصة حول الثورة الدائرة رحاها في الجزائر من خلال أبرز قادتها الوافدين إلى القاهرة تبعاً، وذلك عبر الاحتكاك بهم والاستماع إليهم، الأمر الذي جعله يعزف عن مباركتهم لهم، بل ويعمل في اتجاه احتواء الثورة أو محاولة توجيهها انطلاقاً من القاهرة، كما رأينا من قبل. يجب أن نأخذ بعين الاعتبار مشارب قادة الثورة في القاهرة، وحداثة سن البعض منهم أيضاً، وهو الأمر الذي -ربما- لم يكن ليروق الشيخ "الإبراهيمي".

ومع ذلك وجدنا أن بقية العلماء المسلمين الجزائريين أمثال "العربي التبسي" تم إعدامه في ٤ أبريل ١٩٥٧ بسبب موقفه من الثورة الجزائرية، و"أحمد توفيق المدني" انضم إلى جبهة التحرير الوطني، وأصبح مندوبها في الخارج ورئيس مكتبها بالقاهرة وعضواً بالمجلس الوطني للثورة ثم وزيراً للشؤون الثقافية في أول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية، و"محمد خير الدين" الذي انضم هو بدوره إلى الجبهة وأصبح ممثلها الرسمي في المملكة المغربية ثم عضواً في المجلس الوطني للثورة. باستثناء الشيخ الشهيد "التبسي" الذي أيد الثورة منذ ساعاتها الأولى، فإن الشيخين "المدني"، و"خير الدين" تداركا تأخرهما عن ركاب الثورة، واختاروا الاتجاه الذي لا مجال فيه للانتظار والترقب، أما الشيخ "الإبراهيمي" فسيبقى مهما كان الأمر رمزاً للزمن النهضوي والإصلاحي.

وقد ضمت عشرات الأعضاء من ضمنهم الشيخ "الورتلاني"، وذلك بهدف تمثيل الجزائر في مختلف المؤتمرات، وخاصةً في مؤتمر "جاكرته" الإندونيسية، للمطالبة من الدول الأعضاء بمساعدتهم في استقلال الجزائر، هذه الجمعية كانت تهدف أيضاً إلى جمع التبرعات المالية والعتاد الحربي الضروري للمجاهدين الجزائريين، وهي بمثابة لبنة لتشكيل حكومة جزائرية مؤقتة في القاهرة على شاكلة حكومة فرنسا الحرة في لندن بقيادة "ديغول".

وقد وجه "الإبراهيمي" في هذا الإطار رسالة إلى أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الجزائر، مطالباً إياهم بالحياد لتفادي مضايقات الإدارة الاستعمارية، ولكي يتسنى لهم القيام بمهامهم المنتظرة في الوقت المناسب.^(٣٨) فهل كان في نية الشيخ الإبراهيمي احتواء الثورة؟ أو قيادتها من القاهرة؟ ثم لماذا غير موقفه اتجاه الثورة الجزائرية بعدما هلل لانطلاقها؟.

في حقيقة الأمر، وبعد سنتين تقريباً من عمر الثورة أضى "الإبراهيمي" يسير عكس اتجاهها، فشيخ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الجزائر، على غرار "العربي التبسي"، و"أحمد توفيق المدني"، و"محمد خير الدين"، و"العباس بن الشيخ الحسين"، و"عبد اللطيف سلطاني"، و"نعيم النعيمي"، أصدروا بياناً في ٧ يناير ١٩٥٦، يعلنون فيه مباركة الثورة، وتأييدهم لجبهة التحرير الوطني.^(٣٩)

ويطلعنا تقرير، عن تراجع دور مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في القاهرة، بسبب التهم التي وجهت لرئيسه الشيخ "الإبراهيمي"، واضطره ذلك إلى مغادرة مصر للاستقرار في الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية بلا رجعة، وقد رأينا سابقاً أن الشيخ ومنذ وصوله إلى القاهرة حضي باهتمام وتقدير الجميع، استغل هذا الظرف -يضيف التقرير- ليشكل مكتباً لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كما استفاد من الإعانات التي قدمت له من قبل جامعة الدول العربية، وكذا بعض الدول العربية الأعضاء في الجامعة، وبعض أثرياء المشرق العربي.

من جانب آخر حاول "الإبراهيمي" افتكاك إدارة مكتب المغرب العربي،^(٤٠) ولكنه فشل، ثم حاول تسيير لجنة تحرير الجزائر،^(٤١) لكنه فشل أيضاً، بسبب معارضة أعضاء اللجنة له، وقضخ مناورات في الجزائر، وأمام الحكومة المصرية كما فعل "أحمد بن بلة". واقتحم أوساط الطلبة الجزائريين لإخضاعهم، ودخل في صراع مع الطلبة غير المتخرجين من معهد ابن باديس في قسنطينة، الأمر الذي دفعهم إلى تحرير رسائل في شكل شكاوى ضده لدى الحكومة المصرية، ولدى جامعة الدول العربية، والمؤتمر الإسلامي.

إن ميل "الإبراهيمي" إلى جماعة الإخوان المسلمين، وصدافته الحميمة مع الشيخ "الورتلاني"، غير المرغوب فيه لدى الحكومتين المصرية واليمنية، بحكم انتماء هذا الأخير لجماعة الإخوان المسلمين في مصر، والتي -كما هو معلوم- كانت في مواجهة علنية مع السلطة المصرية خلال فترة الخمسينيات من القرن العشرين، كل

الهوامش:

رفض الاحتكار السياسي لجهة التحرير الوطني، وبطلب من هذه الأخيرة، اعتقلت السلطات المصرية "مزغنة"، وعزلت "الإبراهيمي" عن الحياة السياسية. أنظر في هذا الصدد:

Manifeste de l'Association des Oulemas, 7 janvier 1956, in Les Archives de la révolution algérienne, Rassemblées et commentées par Mohamed Harbi. Editions Dahleb, Alger, 2010, PP.109 - 110.

(33) A.N.O.M, FR CAOM 93/4415, Service des liaisons nord-africaines, Constantine, le 11 mars 1955.

(34) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكرات). ج.3. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٨، ص ٣٤-٣٧.

(35) مكتب المغرب العربي: تأسس في القاهرة في ٥ فبراير ١٩٤٧، بعد تفاوض واتصالات بين ممثلي الأحزاب الاستقلالية في كل من تونس والجزائر والمغرب، أي بين ممثلي حزب الدستور التونسي الحر، وحزب الشعب الجزائري، وحزب الاستقلال المراكشي، وحزب الإصلاح المغربي.

(36) لجنة تحرير الجزائر: لم تتمكن من إيجاد تعريف دقيق لهذا التنظيم، ولعله اللجنة العليا للدفاع عن الجزائر التي أسسها الشيخ "الورتلاني" في القاهرة سنة ١٩٤٢.

(37) A.N.O.M, FR CAOM 93/4415, Association des oulémas.

(١) محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة. دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ٩٥ - ١٠٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٤٨.

(٥) باعزيب عمر، من ذكرياتي عن الإمامين الرئيسين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي. منشورات الحبر، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٦) الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة. دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، ٢٠٠٧، ص ٣١.

(٧) الإبراهيمي، المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٨) جريدة "الشباب المسلم": صدرت بالفرنسية، جريدة شباب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مديرها هو "عطاء الله سوفاري"، كان يوقع فيها "أحمد طالب الإبراهيمي" نجل الشيخ، مقالاته باسم مستعار هو "ابن الحكيم".

(9) Le Jeune Musulman, n=2, vendredi 20 juin 1952.

(10) Ibid.

(11) Le Jeune Musulman, n=3, vendredi 11 juillet 1952.

(١٢) الإبراهيمي، المصدر السابق، ص ١٠٤.

(13) A.N.O.M, FR CAOM Oran 92/568, lettre du gouverneur général au préfet d'Oran, Alger, le 15 mars 1954.

(14) Ibid, Rapport du PRG, Oran, le 26 mars 1954.

(15) Ibid, Rapport du PRG, Oran, le 28 avril 1954.

(16) Ibid, Rapport de Gendarmerie, Mascara, le 29 avril 1954.

(17) Ibid, Lettre du sous-préfet de l'arrondissement de Tlemcen au préfet d'Oran, Tlemcen, le 22 septembre 1954.

(18) Ibid, Rapport du PRG, Tlemcen, le 1 octobre 1954.

(19) Ibid, Lettre du gouverneur général de l'Algérie au préfet d'Oran, Alger, le 15 avril 1954.

(20) Ibid, Rapport du PRG, Oran, le 12 mai 1954.

(٢١) الجبهة الجزائرية من أجل الدفاع واحترام الحرية: أو الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها، تأسست في ٥ أوت (أغسطس) ١٩٥١، ومن أهم التنظيمات المشكلة لها: حركة الانتصار للحريات الديمقراطية والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والحزب الشيوعي الجزائري وستة من العلماء وستة من المستقلين الديمقراطيين.

(22) Amar Ouzegane, Le meilleur combat. Editions ANEP, Alger, 2006, PP.32-33.

(٢٣) سورة الرعد، آية (١١).

(٢٤) الإبراهيمي، المصدر السابق، ص ٢٤٩.

(٢٥) المصدر نفسه، ص ٢٥ - ٢٦.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ٢٩.

(٢٧) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(28) A.N.O.M, FR CAOM 93/4415, Note de renseignements.

(29) Ibid, Lettre du préfet de Constantine au sous-préfet, Constantine, le 22 novembre 1954.

(30) Ibid, Note de renseignements, le 27 novembre 1954.

(31) Ibid, Manifeste des représentants des organisations et des partis algériens au Caire, le 3 mars 1955.

(٣٢) هذه الجمعية أو الجبهة: ضمت تنظيمات موجودة في القاهرة، شكلها الشيخ "البشير الإبراهيمي" بمعينة "أحمد مزغنة" ممثل "مصالي الحاج"، لأنه